

وقائع المؤتمر الدولي الأول

لمؤسسة الإمام زين العابدين عليه السلام للبحوث والدراسات

بالتعاون مع جامعة واسط

(الأبعاد التربوية والاجتماعية في تراث الامام زين العابدين عليه السلام)

المجلد الخامس

المحور الثاني – علم الاجتماع التربوي

الإمام زين العابدين (عليه السلام) وفكره التربوي الأخلاقي

أ.م.د. مصطفى خالد جهاد العزاوي

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة سامراء

الملخص

إن الناظر في حقيقة أهل البيت يجد أنهم ليس مجرد مجموعة تنتمي إلى بيت الرسالة الإسلامية الإنسانية فقط، وإنما مجموعة من القيم الإنسانية والمبادئ السامية، والأخلاق الرفيعة.

وإن من ينسب نفسه إلى أهل بيت النبوة (سلام الله عليهم) يتشترط أن يسير على ما ساروا عليه من قيم ومبادئ في الأفعال، والأقوال لأنهم لا يقولون ثم يفعلون، بل أغلب الأحيان يفعلون ولا يقولون وقليل من الأحيان يفعلون ثم يقولون.

أمتدحهم الله في كتابه فقال ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

إنهم أهل صدق وإخلاص في أقوالهم وفي أفعالهم لا يفكرون في مصالحهم الخاصة، ولا يشغلون أنفسهم برغباتهم الذاتية كأنهم خلقوا بدون رغبات ولا شهوات خاصة، بل جلّ تفكيرهم وكلّ همهم هو تحقيق مصالح الآخرين.

لم يبنوا قصرًا أو سكنوا في قصر، لم يجمعوا مالاً ولا ذهباً، لم يأكلوا من الطعام إلا أبسطه، ولم يلبسوا من الملابس إلا أبسطها كيف يفعلوا غير ذلك، وهناك من بني البشر لا يأكل الطعام وينام في العراء.

ومن هذه القيم التي بثها أهل البيت (سلام الله عليهم) هي القيم الأخلاقية التي هي أساس الحياة، كيف لا وهي التي تستخدم بعد ذلك في جميع المعاملات الدنيوية.

وأرتئي أن يكون بحثي موسوماً بـ(الإمام زين العابدين (عليه السلام) وفكره التربوي الأخلاقي) وأردت في هذا البحث أن أستلهم بعض القيم الأخلاقية التي زرعتها الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الناس في ضوء فكره التربوي، وجعلها منهاجاً يسير الناس عليها من بعده.

أهمية الموضوع:

تكمّن أهمية الموضوع في أنه يشجع المجتمع على بث القيم الأخلاقية، والتي تساعد في إنشاء جيلٍ واعٍ ملتزم بما جاء في الشريعة يواظب على الخصال والقيم النبيلة التي أساسها الأخلاق، وخاصة نحن نعيش في واقع مرير يحتاج منا إلى بث هكذا قيم ومبادئ تساعد المجتمع والأشخاص، الذين أصبحوا منشغلين بأمور بعيدة كل البعد عن الأخلاق الفاضلة، وعلى النهوض بالقيم السامية على وفق ما أورده وعمل عليه الإمام زين العابدين (عليه السلام) لأنه يُعتبر القدوة الحسنة في كل شيء والمعلم في كل وقت، فدائماً ما كان يدعو إلى الأخلاق الحميدة والفاضلة، وذلك في ضوء ما ورد عنه (عليه السلام) من قيم ومبادئ أخلاقية.

خطة البحث:

قسمتُ خطة البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على عرض بسيط للبحث، وكذلك الأهمية منه، ثم خطته.

أما المبحث الأول: فهو التعريف بالإمام زين العابدين (عليه السلام) الشخصية والعلمية والتربية والفكر التربوي.

وأما المبحث الثاني: فهو نماذج من القيم الأخلاقية عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) وأثرها على المجتمع.

وأما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم النتائج التي توصلتُ إليها.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يوفق القائمين على هذا المؤتمر العلمي، وذلك لما أتأخوه ليّ من استرجاع سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، لما فيها من العبر والمواعظ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

المبحث الأول

التعريف بالإمام زين العابدين (عليه السلام) الشخصية والعلمية والتربية والفكر التربوي

المطلب الأول: حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) الشخصية والعلمية

الحياة الشخصية: اسمه ولقبه ووفاته:

اسمه: عليّ، وكان للحسين (عليه السلام) ولد آخر أكبر من هذا يسمّى عليّاً فقتل بين يدي والده، وولد صغير طفل يسمّى عليّاً أيضاً فجاءه سهم فقتل^(١).

وأما ولادته: فبالمدينة في الخميس الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، في أيام جدّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قبل وفاته بستتين.

وأما نسبه أباً وأماً: فوالده الحسين بن عليّ (عليهما السلام).

وأما أمّه: فأمّ ولد اسمها غزالة، وقيل: بل كان اسمها شاه زنان بنت يزدجرد، وقيل: غير ذلك^(٢).

وأما كنيته: فالمشهور أبو الحسن، وقيل: أبو محمّد، وقيل أبو بكر^(٣).

وأما لقبه: فكان له ألقاب كثيرة، كلها تطلق عليه أشهرها زين العابدين، وسيد العابدين، والزكي، والأمين، وذو

الشفات^(٤).

وقيل: كان سبب لقبه بزين العابدين أنّه كان ليلة في محرابه قائماً في تهجده، فتمثّل له الشيطان في صورة ثعبان

ليشغله عن عبادته فلم يلتفت إليه، فجاء إلى إبهام رجله فالتصمها فلم يلتفت إليه، فألمه فلم يقطع صلاته، فلمّا فرغ

(١) تاريخ دمشق لأبن عساكر، ٣٦٢/٤١، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ٢٨٨/١، سير أعلام النبلاء، ٣٨٧/٤.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لأبن سعد، ١٦٢-١٦٣/٥، تاريخ دمشق لأبن عساكر، ٣٦٠/٤١، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان،

٤٤/١٠، سير أعلام النبلاء، ٣٨٦/٤.

(٣) انظر دلائل الإمامة، ٣٤٣/١، مناقب آل أبي طالب، ١٩/٦، سير أعلام النبلاء، ٣٨٦/٤.

(٤) انظر مناقب آل أبي طالب، ١٩/٦، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ٢٨٨/١.

منها وقد كشف الله تعالى له فعلم أنه الشيطان فسبه ولعنه، وقال: «اخساً يا ملعون»، فذهب وقام إلى تمام ورده، فسمع صوتاً ولا يرى قائله وهو يقول له: أنت زين العابدين ثلاثاً^(١)، فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقباً له.

وأما عمره: فإنه مات في ثامن عشر المحرم من سنة أربع وتسعين، وقيل: خمس وتسعين^(٢). وقد تقدّم ذكر ولادته في سنة ثمان وثلاثين فيكون عمره سبعاً وخمسين سنة، وكان منها مع جدّه سنتين، ومع عمّه الحسن عشر سنين، وأقام مع أبيه بعد عمّه الحسن عشر سنين وبقي بعد قتل أبيه تنمة ذلك. وقبره بالبقيع بمدينة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في القبر الذي فيه عمّه الحسن، وهو الآن في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه)^(٣).

الحياة العلمية:

كان الإمام السجاد يشتري العبيد والإماء ولكن لا يبقي أحدهم عنده أكثر من سنة واحدة، وخلال هذه السنة كان الإمام يعاملهم معاملة إنسانية مثالية، ممّا يعزز في نفوسهم الأخلاق الكريم ويحبب إليهم الإسلام وأهل البيت. كما كان الإمام (عليه السلام) يعلم الرقيق أحكام الدين ويغذيهم بالمعارف الإسلامية، بحيث يتخرج الواحد منهم محصناً بالمعلومات التي تفيده في حياته ويدفع بها الشبهات ولا ينحرف عن الإسلام الصحيح^(٤).

إن هذا الدور الذي قام به الإمام هو دورٌ واعي بمتطلبات المرحلة وتخطيط استراتيجي لإيجاد حركة وتيار فكري أصيل في وسط الأمة، كما استطاع الإمام (عليه السلام) أن ينشر هؤلاء الكفاءات العلمية في أرجاء المعمورة ليكون مبلغين للفكر المحمدي الأصيل ونقله للأجيال اللاحقة.

وكان (عليه السلام) يشجع على طلب العلم: فقد كان يشجع أفراد الأمة على طلب العلم، ويذكر تلك المكانة العالية التي يقف عليه طالب العلم، فقد روي في مكارم أخلاق الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه: أنه كان إذا

(١) نوادر المعجزات، ص ٢٢٤، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ١/ ٢٨٨.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٤٠٠.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى لأبن سعد، ٥/ ١٧١، صفة الصفوة، ١/ ٣٥٨.

(٤) ينظر: أعلام الهداية الإمام علي بن الحسين زين العابدين، ص ١٥٤.

جاء طالب علم قال: "مرحبا بوصية رسول الله، ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله ليرضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبحت له إلى الأرضين السابعة"^(١).

كما كان يزرع في نفوس الشباب المهمة والطموح في طلب العلم، يقول الإمام محمد الباقر (عليه السلام): "كان أبي زين العابدين إذا نظر إلى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم إليه وقال: مرحبا بكم أنتم ودائع العلم، ويوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين"^(٢).

وكان (عليه السلام) يهتم بالمعلم فهو صانع الفكر، وصانع الحضارة، وله الأيدي البيضاء على أفراد المجتمع، لذلك وجب توقيره وتعظيمه، وحسن الاستماع إليه، وإعطائه المكانة التي تليق بعلمه وفكره.

ولذا خصص الإمام السجاد حقاً من رسالة الحقوق يتحدث فيه عن المعلم فيقول: "وحق سائسك بالتعلم، التعظيم له، والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والاقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك ولا تحجب أحدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس عدوه، ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه عز وجل لا للناس"^(٣).

وكان حريصاً على نشر العلم وعدم كتمانها، فمن يمتلك معلومة ومعرفة فإنه مسئول عن نشرها في ربوع مجتمعه، ليعيش المجتمع مستفيداً من هذه المعلومات، إن نشر العلم يعني أن نصنع مجتمعاً واعياً، ناهضاً، ولذلك يقول الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالة الحقوق: "وأما حق رعتك بالعلم: فأن تعلم أن الله قد جعلك لهم خازناً فيما آتاك من العلم وولاك من خزانة الحكمة فإن أحسنت فيما ولاك الله من ذلك وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق الناصح

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ١/ ١٦٨.

(٢) الدر النظيم، ابن حاتم العاملي، ص ٥٨٧.

(٣) شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين، ص ٤٠٩.

لمولاه في عبيده، الصابر المحتسب، الذي إذا رأى ذا حاجة أخرج له من الأموال التي في يديه، كنت راشداً، وكنت لذلك آملاً معتقداً، وإلا كنت له خائناً ولخالقه ظالماً^(١).

المطلب الثاني: تعريف التربية والفكر التربوي لغةً واصطلاحاً

التربية لغةً:

ربا يربو بمعنى زاد ونما^(٢)، وفي القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾^(٣) أي نمت وزادت، وجاء في قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٤) وفيه إشارات إلى ذلك المعنى اللغوي للتربية، وربيت فلاناً بمعنى أنشأته، ونمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية^(٥).

والتربية، والتربيب القيام على الشيء والإصلاح، والمعاهدة له يقال ربه، ورباه وربيه ببائين، وربته بالتاء كله بمعنى حضنه، وقام عليه^(٦).

ورب ولده، وتربيه بمعنى رباه، وربيب الرجل ابن امرأته من غيره وهو بمعنى مربوب، والأنثى ربيبة، ومربي أيضاً من التربية^(٧).

التربية اصطلاحاً:

هنالك عدة تعريفات للتربية بمفهومها الاصطلاحي نذكرها أهمها:

(١) شرح رسالة الحقوق - الإمام زين العابدين، ص ٤٧١.

(٢) ينظر: لسان العرب، ١٤ / ٣٠٥.

(٣) سورة الحج: الآية ٥.

(٤) سورة الأسراء: الآية ٢٤.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، ١٥ / ١٩٨.

(٦) ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١ / ٢٨٠.

(٧) ينظر: مختار الصحاح، ص ١١٦.

١ - "علم يبحث في الوسائل التي تكفل التربية الصحيحة للطفل خلقيا ونفسيا وعلميا، والبلوغ به إلى الكمال الخاص به، ويبحث في النظم التربوية نشأتها وموضوعها وتطورها والغاية منها"^(١).

٢ - التربية تعني تغذية الجسم وتربيته بما يحتاج إليه من مأكّل ومشرب ليشتب قويا معافى قادراً على مواجهة تكاليف الحياة ومشقاتها، فتغذية الإنسان والوصول به إلى حد الكمال هو معنى التربية، ويقصد بهذا المفهوم كلّ ما يُغذي في الإنسان جسماً وعقلاً وروحاً وإحساساً ووجداناً وعاطفة"^(٢).

٣ - التربية الإسلامية هي: "تنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية، والجسدية، والاجتماعية، وتنظيم سلوكها على أساس من مبادئ الإسلام وتعاليمه، بغرض تحقيق أهداف الإسلام في شتى مجالات الحياة"^(٣).

٤ - التربية الإسلامية ذات طابع شمولي تكاملي لجميع جوانب الشخصية الروحية، والعقلية، والوجدانية، والإخلاقية، والجسمية، والاجتماعية، والإنسانية، وفق معيار الاعتدال والالتزان، فلا إفراط في جانب دون غيره ولا تفريط في جانب لحساب آخر"^(٤).

فالتربية عموماً تعتبر عملية شاملة، تتناول الإنسان من جميع جوانبه النفسية، والعقلية، والعاطفية، والشخصية، والسلوكية، وطريقة تفكيره وأسلوبه في الحياة، وتعامله مع الآخرين، كذلك تناوله في البيت والمدرسة وفي كل مكان يكون فيه، وللتربية مفاهيم فردية، واجتماعية، ومثالية.

الفكر لغةً:

يأتي الفكر في اللغة على معاني عديدة منها: إعمال العقل والتدبر في الشيء وتأمّله، وكثرة الفكر وغيرها من المعاني.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، ٨٥٢/٢.

(٢) ينظر: أصول الفكر التربوي في الإسلام، ص ١٥.

(٣) ينظر: التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، ص ٩.

(٤) ينظر: منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ص ٥٢.

الفكر: بفتح الفاء من فعل فكر يفكر افكاراً، تقول: فكر في الأمر، أعمل العقل فيه، وقيل الفاء والكاف والراء معناه: تردد القلب بالنظر والتدبر في الشيء، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبراً، ورجل فكير: كثير الفكر، والتفكر: التأمل، والفكر إعمال النظر في الشيء، والفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً^(١).
والتفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، وتفكر الشخص: تدبر واعتبر واتعظ، وتفكر في الطبيعة: تأملها، وأعمل العقل فيها ليصل إلى نتيجة، والفكر بالكسر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول ويُقال لي في الأمر فكر نظر وروية^(٢).

الفكر التربوي الإسلامي اصطلاحاً:

وأمّا تعريف الفكر التربوي الإسلامي فهو: جملة من المفاهيم والآراء والتصورات والمبادئ التربوية المستمدة من الكتاب والسنة والاجتهاد الموافقة لروح الإسلام من خلال إعمال العقل^(٣).

(١) ينظر: القاموس المحيط، ص ٤٥٨، مادة (فكر)، معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٤٦، مادة (فكر)، مختار الصحاح، ص ٢٤٢، مادة

(فكر)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٤٧٩، مادة (فكر).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط، ٢/ ٦٩٨، مادة (فكر)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/ ١٧٣٣، مادة (فكر).

(٣) ينظر: دراسات في الفكر التربوي الإسلامي، ص ١١.

المبحث الثاني

نماذج من القيم الأخلاقية عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) وأثرها على المجتمع

المطلب الأول

نماذج من القيم الأخلاقية في مرويات الإمام زين العابدين (عليه السلام)

لقد أوتي الإمام زين العابدين (عليه السلام) كسائر آبائه الطاهرين من الفضائل ومكارم الأخلاق ما لم يؤول أحد من معاصريه، فلم ير مثله في عبادته وتهجده وطاعته لربه، فضلاً عن زهده وتقواه وحسن سيرته وعلمه الجم وحكمته وبلاغته.

تعددت الروايات التي تنم على الأخلاق الفاضلة والتحلي بها، في مرويات الإمام زين العابدين (عليه السلام) بجانب النهي عن الأخلاق الذميمة.

إن الناظر في أقواله (عليه السلام) وتوجيهاته الخالدة، والتي تنم على مدى فكره الواسع، في جوانب التربية الصحيحة يرى بإثباته استطاع أن يأسس منهاجاً أخلاقياً عملياً وإلّكم بعض القيم الأخلاقية في كلامه (عليه السلام).

فمنها: إنّه كان إذا توضأ للصلاة يصقّر لونه، ويقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء، فيقول: "أندرون بين يدي من أريد أن أقوم"^(١).

ومنها: كان إذا مشى لا يجاوز يده فخذه، ولا يخطر بيده، وعليه السكينة والخشوع، وإذا قام إلى الصلاة أخذته الرعدة، ويقول: "أريد أن أقوم بين يدي ربّي وأناجيه فلهذا تأخذني الرعدة"^(٢).

ومنها: ما نقله سفيان، قال: جاء الرجل إلى عليّ بن الحسين (عليهما السلام) فقال: إنّ فلاناً قد وقع فيك وأذاك.

(١) الطبقات الكبرى لأبْن سعد، ٥ / ١٦٧، صفة الصفوة، ١ / ٣٥٤.

(٢) تاريخ دمشق لأبْن عساكر، ٤١ / ٣٨٧، صفة الصفوة، ١ / ٣٥٤.

فقال له: "فانطلق بنا إليه"، فانطلق معه وهو يرى أنه سيتنصر لنفسه، فلمّا أتاه: فقال له: "يا هذا إن كان ما قلته في حقّ الله تعالى يغفره لي، وإن كان ما قلت في باطلاً فالله تعالى يغفر لك"^(١).

وكان بينه وبين ابن عمّه حسن بن الحسن (عليه السلام) شيء من المنافرة، فجاء حسن إلى عليّ وهو في المسجد مع أصحابه، فما ترك شيئاً إلّا قاله من الأذى، وهو ساكت ثمّ انصرف حسن.

فلمّا كان الليل أتاه في منزله، فقرع عليه الباب فخرج حسن إليه، فقال له عليّ: "يا أخي إن كنت صادقاً فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فيه فغفر الله لك، والسلام عليك ورحمة الله"، ثمّ مضى فتبعه حسن والتزمه من خلفه وبكى حتّى رق له، ثمّ قال: والله لاعدت إلى أمر تكرهه، فقال له عليّ: "وأنت في حلّ ممّا قلته"^(٢).

وكان يقول: "اللهمّ إنّي أعوذ بك أن تحسن في لوايح العيون علانيتي، وتقبح سريري، اللهمّ كما أسأت فأحسنّت إليّ، فإذا عدت فعد عليّ"^(٣).

ومنها: إنّه (عليه السلام) ما كان يحبّ أن يعينه على طهوره أحد، وكان يستقي الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام، فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثمّ يتوضأ ثمّ يأخذ في صلاته، وكان يقضي ما فاتته من صلاة نافلة النهار بالليل ويقول: "يا بني ليس هذا عليكم بواجب، ولكن أحبّ لمن عود منكم نفسه عادة من الخير أن يدوم عليها". وكان لا يدع صلاة الليل في السفر والحضر^(٤).

وكان من كلامه يقول: "عجبت للمتكبّر الفجور الذي كان بالأمس نطفة ثمّ هو غداً جيفة، وعجبت كلّ العجب لمن شكّ في الله وهو يرى خلقه، وعجبت كلّ العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت كلّ العجب لمن عمل لدار الفناء وترك العمل لدار البقاء"^(٥).

وكان إذا أتاه السائل يقول: "مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة"^(٦).

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ١٠/٤٧، صفة الصفوة، ١/٣٥٤.

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ١٠/٤٧-٤٨، صفة الصفوة، ١/٣٥٤.

(٣) صفة الصفوة، ١/٣٥٤، سير أعلام النبلاء، ٤/٣٩٦.

(٤) صفة الصفوة، ١/٣٥٤-٣٥٥، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ١/٢٩٠.

(٥) صفة الصفوة، ١/٣٥٥، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ١٠/٤٨.

ومنها: إنه لما مات عليّ بن الحسين، وجدوه يقوت مائة بيت من أهل المدينة كان يحمل إليهم ما يحتاجون إليه^(١).
وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات عليّ بن الحسين (عليه السلام) فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل^(٢).

وقال أبو حمزة الثمالي: كان زين العابدين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به ويقول: "إنّ صدقة السرّ تطفئ غضب الرب (عزّ وجلّ)".

ولما مات (عليه السلام) وغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار في ظهره، فقالوا ما هذا؟ قيل: كان يحمل جرب الدقيق على ظهره ليلاً ويوصلها إلى فقراء المدينة سرّاً.

وقال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات عليّ بن الحسين (عليهما السلام)^(٣).

وقال سفيان: أراد عليّ بن الحسين (عليه السلام) الخروج إلى الحجّ، فأتّخذت له سكينه بنت الحسين (عليه السلام) أخته زاداً أنفقت عليه ألف درهم، فلمّا كان بظهر الحرة سirt إليه ذلك، فلمّا نزل فرّقه على المساكين^(٤).

وقال "يا بني افعل الخير إلى كل من طلبه منك فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله"^(٥).

فقال عليّ (عليه السلام): "أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟"، فقال سعيد: نعم.

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ٣٢٨/٦.

(٢) الطبقات الكبرى لأبن سعد، ١٧٢/٥، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٣٦/٣.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٣٦/٣، سير السلف الصالحين، ص ٨٦٨.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٣٦/٣، صفة الصفوة، ٣٥٥/١.

(٥) صفة الصفوة، ٣٥٥/١.

(٦) تحف العقول، ص ٢٠٢.

فقال لـغلام له -أفوه غلمانـه، وكان عبد الله ابن جعفر قد أعطاه بهذا الغلام ألف دينار فلم يبعه-: "أنت حر لوجه الله تعالى"^(١).

المطلب الثاني

أثر القيم الأخلاقية على المجتمع في ضوء كلام الإمام زين العابدين (عليه السلام)

لقد كان لوصاياه ومواعظه وخطبه (عليه السلام) حافلة بالقيم والمفاهيم الإسلامية، والتي تتعلق بتربية الإنسان، وتنظيم المجتمع، وتهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك لدى المجتمع، وإرشادهم إلى الطريق الصحيح.

١- إشاعة روح المحبة والتسامح وعدم التعصب: فقد أشاع الإمام زين العابدين العديد من المبادئ الإسلامية السامية في المدة الزمنية التي عاشها ونلاحظ ذلك من سلوكه وتصرفه في مواقف عدة فقد تميز بسعة صدره وعفوه عمن أساء إليه وهذا ما نجده في الرواية التي وردت في المطلب الأول تبينه مواقف من هذه الجوانب فقد دعا الإمام إلى نشر مبادئ الدين الحنيف وذلك تمثلاً بقوله "أحبونا حب الإسلام" وهذا نداء لشيئته بأن يكون سلوكهم موافقاً لتعاليم الإسلام وسيرة أهل البيت الذين ينسب لهم كل شيء جميل ويحثهم على إشاعة روح التسامح وإن يتحلوا بأخلاق أهل البيت وينقلوها إلى الناس كل في كل مكان.

٢- تناول الإمام السجاد حقاً من حقوق الناس الذين تميزوا بعدم القدرة على مؤنة يومهم الا وهم السائلين والفقراء والمساكين هؤلاء كانوا يعيشون في مستوى معاشي متدني لذلك لابد من ايضاح حقوقهم وفق منهج تربوي تتقبله عقول عامة الناس فتطرق الإمام إلى حق السائل في رسالة الحقوق فقال "وحق السائل إذا تهيأ تصدقه، وقدرت على سد حاجته، والدعاء له فيما نزل به، والمعاونة له على طلبه، وان شككت في صدقه وسبقت إليه التهمة ولم تعزم على ذلك، لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان، أراد أن يصدك عن حظك ويحول بينك وبين التقرب إلى ربك، تركته بستره ورددته، رداً جميلاً، وإن غلبت نفسك في أمره واعطيته على ما

(١) صفة الصفوة، ١/ ٣٥٥-٣٥٦.

عرض في نفسك منه فإن ذلك من عزم الأمور"^(١)، فقد بين الإمام ضرورة اعطاء السائل اذا سأل وعدم رده وقضاء حاجته إن أمكن وإن شككت في كلامه، فقد يكون هذا الامر -الشك- من عمل الشيطان، لأن في قضاء حاجة المؤمن، تقرب إلى الله تعالى، واستجابة الدعاء، وتأكيد على أخوة المسلمين وتعاونهم ووحدتهم وشعورهم أنهم كالجسد الواحد إن اشتكى عضواً تداعى بقية الأعضاء فضلاً عن ذلك أكد الإمام على ضرورة تعلم مبدأ السرية، وعدم الكلام حفاظاً على كرامة السائل لأنك إن أعطيت السائل فقد كرمته، وهذا من الأخلاق الحميدة التي يؤكد عليها الإمام ولقاضي حاجة المؤمن السبق في الثواب الجزيل .

٣- من توجيهات الأخلاق الفكرية عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) النفع للإخوان وعدم الاقتصار على المنفعة الشخصية، لحديث الرسول (صلى الله عليه وآله) "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" فقد قرن الإمام (عليه السلام) منفعة الناس مع الإيمان، فحيث لا يوجد إيمان مع الإضرار بالبقية، وهذه من أخلاقيات الشريعة الإسلامية.

٤- التأكيد على فعل الخير ثم يوجه ندائه إلى شيعته على قضاء حاجات واصطناع المعروف أكد الإمام على ضرورة رعاية إخواننا المسلمين والاسراع إلى قضاء حوائجهم وتسهيل أمورهم؛ لأن ذلك من عمل الخير والمعروف مساعدة الفقراء والمساكين.

٥- من الأخلاقيات التي ذكرها الإمام زين العابدين (عليه السلام) والتي يفتقدها مجتمعنا اليوم هي الرقة والشفقة، فإن هذين المبدئان مطلوبان في حياتنا لكل شخص، ويجب علينا كمسلمين أن نحیی هذه الشعيرة المهمة بأن نرق ونشفق على الأطفال والمحتاجين والأرامل والمعسرین، والتي كانت من مبادئ الإمام (عليه السلام) والتي سار عليها في حياته.

٦- من الأخلاقيات التي سار عليها الإمام زين العابدين (عليه السلام) هي المسامحة، وهذا الأمر مهم لأن فيه أمان المسلمين، ولأن المسامحة بين الناس تجعل الأشخاص متحابين فيما بينهم، بعيدين كل البعد عن جو البغضاء والكراهية والحقد، فلو طبقنا مبدأ المسامحة على أتم جه كما طبقها الإمام (عليه السلام) لتتقل حالنا من الخوف إلى الأمان، ومن الحقد إلى المحبة.

(١) شرح رسالة الحقوق، ص ٧٧١.

٧- من الأمور التي يعيشها مجتمعنا والتي أصبحنا نشاهدها يومياً أمام أعيننا وللأسف، هي مسألة التبذير في الأكل والشرب، وكأن البلاد ليس فيها فقراء، ومحتاجين، فنرى أكثر الناس إن زاد من أكله رماه، ولا يعلم أن برميّه لهذا الأكل فإنّ الله يمحّق البركة عنه وعن بيته، وهذا الأمر المهم وهو أمر التبذير ركز عليه الإمام (عليه السلام) ونهى أصحابه عن فعله.

٨- تقال عبارة بين الناس بأن صاحب صاحب فعلاً، على المسلم أن يختار صاحب المسلم ذو الأخلاق الحميدة الذي يسير على ما سار عليه أهل البيت (عليهم السلام) وأن يتجنب صاحب السوء، لأن أصحاب السوء لا يجلبون إلا الويلات والندامة، وهذا الأمر نشاهده في مجتمعاتنا وبكثرة مع الأسف ونرى أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) ركز هذا الأمر ودعا الناس إلى مصاحبة الصالحين وأصحاب الأخلاق الحميدة.

٩- نشاهد اليوم أن الكثير من الناس لا يكثرث إلى أكل الحرام، بل ويسير إلى أكل الحرام أين ما وجده لا يبالي بذلك ربه، وينتهي عن ما نهاه عنه الشرع، وهذه من الأخلاق الرذيلة التي نبها عليها الإمام (عليه السلام) ودعا إلى الدقة في تحري أكل الحلال لأن فيه نجاة العبد في الدارين.

وفي ختام بحثي هذا المتواضع أسأل الله أن أكون قد وفقت في إبراز جانب من جوانب أحد الأئمة الأطهار وعلم من أعلام الدنيا الإمام زين العابدين (عليه السلام) وأن يجعل بحثي هذا يصب في مصلحة المجتمع وأن يكون فاتحة خير للمسلمين بوجه الخصوص، وللناس جميعاً.

كما وأسأل الله تعالى أن يوفق القائمين على هذا المؤتمر المهم الذي قلّ مثيله وهو لما يحويه من إبراز الصورة المشرقة للإمام زين العابدين (عليه السلام) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا المرسلين نبينا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان أجمعين.

فبعد تيسير الله لي بكتابة هذا البحث المتواضع أقف على أهم النتائج التي توصلتُ إليها:

١- يُعتبر الإمام زين العابدين (عليه السلام) قدوة يقتدى بها في الأخلاق الفاضلة الحميدة، وذلك من خلال ما روى عنه في مجال الأخلاق.

٢- إن لأخلاق الإمام زين العابدين (عليه السلام) الأثر الكبير في قلوب الناس إذا ما ساروا على ما سار عليه الإمام (عليه السلام)

٣- نجد أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أباً حنوناً وشفيقاً على الناس وكأنهم أولاده وذلك من خلال عطفه ورقته ورأفته عليهم.

٥- ركز الإمام زين العابدين (عليه السلام) على فعل الخير ومساعدة الناس وتسهيل أمورهم.

٦- نبه الإمام زين العابدين (عليه السلام) على ضرورة بث روح التسامح وإشاعة الطمأنينة والأمان.

٧- نبه الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى توخي الفقراء والمساكين والمحتاجين وتقديم المساعدة

لهم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- أصول الفكر التربوي في الإسلام، عباس محبوب، دار ابن كثير - دمشق، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٢- أعلام الهداية الإمام علي بن الحسين زين العابدين.
- ٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، فخر العلامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٤- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٥- التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، صبحي طه رشيد ابراهيم، دار الأرقم للكتب - عمان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٦- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- ٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) دار السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٨- الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهايم، جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي المشغري العاملي، مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٩- دراسات في الفكر التربوي الإسلامي، محمود أبو دف، مكتبة آفاق - غزة، ٢٠٠٦م.
- ١٠- دلائل الإمامة، أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير من أعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم، ط١، ١٤١٣هـ.

- ١١ - سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٢ - سير السلف الصالحين، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض.
- ١٣ - شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين، صالح بن الشيخ مهدي صحين الساعدي (١٣٢٢هـ - ١٣٨٦هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق حسام الساعدي، بيروت، دار المرتضى، ط ١، ٢٠٠٥م.
- ١٤ - صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٥ - الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٦ - القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٧ - كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبي الحسن علي بن، عيسى بن أبي الفتح الأربلي (المتوفى: ٦٩٣هـ) دار الاضواء بيروت - لبنان.
- ١٨ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.

- ١٩ - مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٠ - مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ - ٦٥٤ هـ) دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- ٢١ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) المكتبة العتيقة ودار التراث.
- ٢٢ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
- ٢٣ - معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٢٤ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
- ٢٥ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٢٦ - مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني (المتوفى: ٥٨٨هـ) قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة نسخ خطية لجنة من أساتذة النجف الأشرف الجزء الأول من، قام بطبعه محمد كاظم الكتبي والمطبعة الحيدرية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

- ٢٧- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٨- منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، محمد خير فاطمه، دار الخير - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٢٩- نواذر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة (عليهم السلام)، محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم، ط ١، ١٤١٠هـ.